

تجسيد ثقافة الهامش في الأمثال الشعبية الجزائرية -دراسة موضوعاتية

Embodying Marginal Culture in Algerian Proverbs – A

Thematic Study

د. شفيقة بن داود

¹ جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، chafika.bendaoud@unv-alger2.dz

تاريخ النشر: 2025/06/02

تاريخ القبول: 2025/05/13

تاريخ الاستلام: 2025/03/03

ملخص:

تعتبر الأمثال الشعبية من أهم الخطابات التي تقوم بنقل المعرفة وتشكيل صرح الثقافات، فهي نصوص تعمل على حفظ الذاكرة الشعبية وتداولها تباعا كما تسعى للحفاظ على مقومات ثقافة مجتمع ما أو أمة من الأمم، فقد تشكلت هذه الأمثال أساسا ضمن سياقات اجتماعية وثقافية متعددة ومتغيرة في نفس الوقت، كما عملت هذه الأخيرة على تجسيد ثقافة الهامش، مما أدى إلى رسم صورة للمرأة نمطية وسلبية في أغلب الأحيان. وهذا ما جعلها تفقد حقها في عيش كريم ومكانة أقل من الآخر/الرجل.

كلمات مفتاحية: المرأة - الرجل - الهامش - الموضوعاتية - الأمثال الشعبية - الثقافة.

Abstract: Proverbs are among the most significant forms of discourse that transmit knowledge and shape cultural foundations. These texts serve to preserve and perpetuate popular memory, it also safeguard the essential elements of a community's or a nation's culture. Proverbs have primarily emerged within diverse and ever-changing social and cultural contexts. Moreover, they have contributed to the embodiment of marginal culture, often portraying women in a stereotypical and negative light. As a result, this has led to women being deprived of their right to a dignified life and assigned a status inferior to that of the other/the man.

Keywords: Woman - Man - Marginality - Thematic Approach - Proverbs – Culture..

1. مقدمة:

يعد التراث الشعبي بمختلف أنواعه من أهم المرتكزات المكونة للهوية الثقافية الجمعية، فهو يغوص في أعماق السياقات الثقافية الشعبية محاولا التعرف أكثر على عادات وتقاليد وقيم وأخلاق وخبرات تلك الشعوب والمجتمعات، فهو عتبة الولوج إلى اكتشاف شخصية وهوية وحضارة شعب ما... سواء كان هذا التراث الشعبي مادي أو معنوي (لامادي).

أما المادي فهو الملموس والذي يتمثل في الصناعة التقليدية، كاللباس، الرقص، صناعة الجلود، الذهب الفضة... بينما المعنوي أو لامادي فيتمثل في مختلف الفنون القولية الشفوية والمدونة، وهي ما اصطلح عليه بـ "الأدب الشعبي" نثرا كان أو شعرا كالحكاية، الخرافة، الأمثال، السير، المغازي، الشعر الشعبي وكذا العادات والتقاليد والأعراف.

إن تطور العقلية الجمعية وقصور الذاكرة الشعبية وانقطاع السند الثقافي بين الأجيال، يعد من أخطر العوامل المهددة لاستمرارية التراث الشعبي الذي تغلب عليه الرواية الشفوية، الأمر الذي جعلنا نعمل على حفظ هذا التراث ومن ضمنه الأمثال الشعبية بالدراسة والنقد والتحليل للحفاظ على هذا المخزون الجمعي. وربما يعود سبب إصرارنا على دراسة هذا النوع من الأدب الشعبي هو كونه كما قال ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد أنه أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة، فهو سهلا في الحفظ وسريع الانتشار بين العامة والخاصة، ويصور لنا طبيعة المجتمع وثقافته وتوجهه في هذه الحياة. وعليه وقع اختيارنا في هذه الورقة البحثية على الأدب الشعبي اللامادي المتمثل في الأمثال الشعبية التي يضربها الناس للدلالة على حاضرم الشبيه بماضيهم والتي أصبحت تدل على ماضيهم أكثر من حاضرم "وغدت شاهدة على تطورهم في هذا الزمن التواصل والتفاعلي الذي كاد يقضي

على مظاهر الاختلاف والخصوصية ليعمم صورة عامة نموذجية ينخرط فيها الجميع¹ في ظل العولمة والانفتاح.

استندنا في هذه الدراسة على المنهج الموضوعاتي لتقصي تيمات الصورة الذهنية السلبية التي لحقت بالمرأة اجتماعيا وأخلاقيا وأصبحت قارة في العقلية الجمعية الشعبية وكأنها كتاب مقدس لا يجب المساس به أو تغييره باعتبارها عصارة تجارب حياة و لقد خصصنا الأمثال الشعبية الجزائرية دون غيرها وهذا لما تحمله من تيمات متنوعة جلها يدور في فلك المرأة وعلاقتها بالمجتمع والآخر هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لنحاول بناء صرح لدراسة سوسيوموضوعاتية قد تقيد مستقبلا لعلاج الأمراض الفكرية والنفسية التي تنخر في بنية المجتمع بغية التغيير والدفع به نحو الأمام.

2. ماهية الأمثال الشعبية

1.2 إصطلاحا:

منذ القديم نالت الأمثال وافر الاهتمام وخصت بالتدوين والدراسة والتصنيف، حيث "تجلت في ثلاث اتجاهات الجمع والتدوين والتصنيف الموضوعاتي والتصنيف المعجمي"². وماتزال إلى يومنا هذا مطلب الدارسين والباحثين الأكاديميين، حيث استمرت عملية تصنيفها وتدوينها وتدارسها، فهي مبعث المتعة وحجة العامة التي لا يستغنى عنها قط. يستعملونها في المناسبات أو حينما يشهدون موقفا متضمنا في مثل يحضرهم لأنها تعكس فلسفة وحكمة حياة العامة .كونها نابعة من واقعهم وتصورهم بمختلف جوانب حياتهم ،وعليه هي "مرآة تنعكس عليها عاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم وسلوكاتهم السلبية منها والايجابية .من هذا المنطلق نحن هنا نحرص على تجلي ماهية المثل كما عرفه محمد رضا الشبيبي في تقديمه لكتابه الأمثال البغدادية للشيخ جلال الحنفي يقول "الأمثال في كل قوم خلاصة تجاربهم ومحصول خبرتهم ،وهي أقوال تدل على إصابة المُحز وتطبيق المفصل ، هذا من ناحية

المعنى ،أما من ناحية المبنى ،فإن المثل الشرود يتميز عن غيره من الكلام بالإيجاز ولطف الكناية وجمال البلاغة .. والأمثال ضرب من أحسن ضروب التعبير عما تزخر به النفس من علم وخبرة وحقائق واقعية"3 إذا محمد رضا يقر في تعريفه لماهية المثل بثلاث خصال تتسم بها الأمثال وهي4:

-المثل يعد عصارة تجارب وخبرة.

- المثل يتميز بالإيجاز والبلاغة.

- المثل يحمل معنى يصيب التجربة أو الفكرة في الصميم.

ولا نبتعد كثيرا عن هذا التعريف لنلج لتعريف أحمد أمين للمثل قائلا: " المثل نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية ولا تخلو منه أمة من الأمم، ومزية الأمثال أنها من كل طبقات الشعب، وليست في ذلك كالشعر والنثر الفني، فإنهما لا ينبعان إلا من الطبقة الأرستوقراطية في الأدب"5.

هنا يؤكد أحمد أمين على شعبية المثل الشعبي وعلى الخصوصية الأرستوقراطية للمثل، ليجزم أن المثل الشعبي نبعه عام وليس خاص، وهنا تتجسد قيمة النص الشعبي وأهميته في المجتمعات التي تستند على الثقافة الشفوية بصورة أكبر من الثقافة المكتوبة أو المقروءة.

إن الأمثال مفرداتها مثل وهو قول مأثور، موجز العبارة، يتضمن فكرة صائبة أو قاعدة من قواعد السلوك الاجتماعي، أطلقه شخص من عامة الناس في ظرف من الظروف، ثم انتشر على الألسن ،فأخذ الناس يرددونه ويتداولونه في مختلف المناسبات التي تشبه الظرف الذي قيل فيه لأول مرة ،وللمثل مورد ومضرب ،فأما المورد فهو القصة أو الحادثة التي أطلق فيها لأول مرة ،بينما المضرب هو الحال التي نستخدمه فيها لمشابهته لقصة المثل.

تعد الأمثال الشعبية عصارة تجارب أفرادها ومجتمعاتها، فهي مسرح لخواطرم وأفكارهم ومعتقداتهم التي تتحكم في حياتهم ويسير وفقها الناس، ويوافقون عليها ويتداولونها جيلاً بعد جيل. مما يوليها -الأمثال الشعبية- الاستمرارية هو إيجازها وسلاستها وبساطتها وبلاغتها، كل هذه الخصال "تساهم في تشكيل أنماط واتجاهات وصور ذهنية وقيم ومعايير للمجتمع" 6 وهنا تكمن خطورتها في ترسيخ القيم السلبية والايجابية في الذهنية الجمعية. فهل يمكن إعادة بناء خارطة الذهنية الجمعية تكون فيها الامثال إيجابية في نظرتها للمرأة أو عادلة بينها وبين الآخر؟

هذا السؤال الاشكالي يمكننا الإجابة عنه في حالة واحدة هي الاقتداء بما صرح به مالك بن نبي في كتابه "شروط النهضة" قائلاً: " بادئ الأمر تصفية عاداتنا وتقاليدينا، وإطارنا الخلقي والاجتماعي، مما يصفو الجو للعوامل الحية والداعية إلى الحياة "7. وعليه هذه الصفة ستتدعى إلى أفكار جديدة، تعمل على تحطيم ذلك الوضع الموروث عن فترة تدهور أصابت المجتمع واليوم هذا الأخير أصبح يبحث عن وضع جديد هو وضع النهضة ومنه العولمة.

2.2. مصنفات الأمثال الشعبية الجزائرية:

بما أن دراستنا للمثل حددناها في المثل الشعبي الجزائري، وجب الاطلاع على أهم المصنفات، علما أننا اخترنا لورقتنا البحثية مصنفا واحدا فقط أولينا اهتمامنا بالدراسة هو مصنف "أمثال جزائرية" لمؤلفه عبد الحميد بن هدوقة. إلا أننا فيما بعد وجدنا أننا في حاجة لمصنفات أخرى لتعميق المفهم والتوغل أكثر في التيمات التي خصتها الأمثال للمرأة دون غيرها.

1. مصنف محمد بن شنب:

يعد هذا المصنف من أقدم المصنفات، جمع فيه صاحبه الأمثال الجزائرية إلى مستهل القرن العشرين حسب تصريح عبد الحميد بورايو في كتابه الأدب الشعبي الجزائري قائلا: "وقد سبقه إلى ذلك بعض الارهاصات من الكتب التي وضعها المستشرقون من بينهم ، حيث اعتمد عليهم (Cadoz) ... وكادوز (Daumas) ودوما (Machuel) "ماكويل جميعا العلامة محمد بن شنب في وضع مصنفه"8 الذي عنوانه ب"أمثال الجزائر والمغرب العربية، مجموعة ومترجمة ومشروحة". وقد تكلم ابن شنب عن مصنفه بأنه "لا يهدف هذا العمل فقط إلى جمع الأمثال الموزعة في عدد من الأعمال وإضافة بضع مئات منها، فالمؤلف لم يكتف بتصنيفها وفقا للحروف الأبجدية لتسهيل البحث، بل قام بترجمتها مرفوق بالشروح بغرض بيان استعمالاتها"9، كما وضع لها ما يعادلها باللغة الفرنسية و دون الأماكن ...التي سمع فيها الأمثال وأشار إلى ما يوازيها من الأمثال العربية المصرية، سورية وعليه هذا المصنف يعد رائد في هذا المجال الدراسي من مجالات البحث في الثقافة الشعبية. إذ نجده يحتوى -المصنف -على (3127) مثلا تم تسجيلها في لغتها الأصلية مرتبة حسب الحروف الأبجدية مترجمة للغة الفرنسية. فعلا المصنف يعد ثروة لغوية يمكن للدارسين الاعتماد عليه في أبحاثهم .

2. مصنف عبد الحميد بن هدوقة:

عنوانه صاحبه ب"أمثال جزائرية"، وقد خصه للأمثال المتداولة في قرية الحمراء قائلا : " اقتصر في هذه المجموعة من الأمثال الجزائرية على الأمثال المتداولة في قرية الحمراء التابعة لدائرة المنصورة ولاية برج بوعريج "10، وذلك لأسباب يعددها بن هدوقة نذكر منها ولادته ونشأته في هذه المنطقة واحتكاكه بهذه الأمثال منذ الصغر .

يحتوي المصنف على (640) مثلا مرتبة ترتيب أبجدي، ومصنفة، ومفهرسة ومشروحة. استعان الكاتب بفهرس تحليلي للأمثال مرتبة بصورة تقريبية حسب المواضيع، مع الإحالة على أرقام أمثال الكتاب ليسهل على المتلقي العثور عليها، وأضاف الكاتب في نهاية كتابه إلى الأمثال والفهارس معجما لغويا صغيرا لمعظم الكلمات التي شملت على "قاف" معقودة. تنطق بالجييم المصرية، أو على "القاف" عادية مما هو متداول في قرية الحمراء. لقد اعتمد بن هدوقة في جمعه للأمثال على ذاكرته الحية وعلى كل ما أمده به أهل المنطقة من أمثال في فترة تدوينه لها. وقد ركز بن هدوقة في عمله هذا على الشرح والتعليق بغرض تقريب المثل من مدركه وتوثيقه عن طريق رده إلى ما يشبهه من الأمثال المتداولة في المغرب العربي .

3. مصنف قادة بوتارن:

عنوان هذا المصنف "الأمثال الشعبية الجزائرية، بالأمثال يتضح المقال"، وقد ترجمه إلى العربية عبد الرحمان الحاج صالح ، يتضمن هذا المصنف حوالي (1010) مثل ، اعتمد صاحبه في تصنيفه حسب الموضوعات ،والتي تم تصنيفها إلى ستة أجزاء وهي : الجزء الأول (الحياة ونواميسها)، الجزء الثاني(العلاقات الاجتماعية)،الجزء الثالث خصه (في السلوك)، الجزء الرابع(العائلة) ، الجزء الخامس (الأنسان =محاسن ومساوئ)، الجزء السادس (السخرية والدعاية والتهكم) .

يصرح الكاتب في مقدمة كتابه بأن هذا الكتاب الذي قام بجمع الأمثال والحكم الجزائرية يقدمه للقارئ لكنه لا يدعي فيه الابتكار والجدة، فإن قيمته " انما تكمن في الحرص على متابعة وتكملة الأعمال التي سبقنا إليها المبرزون من العلماء، فليست هذه المحاولة الأولى من نوعها، وإن هي في الواقع تنتم لما أنجزه الذين سبقونا إلى ذلك"11.

كما عمل صاحب الكتاب على حصر مصنفه على الأمثال الخاصة بمنطقة الجنوب الغربي من الجزائر .

هناك مصنفات أخرى لكنها أقل أهمية مما ذكرنا منها مصنف رابح خدوسي الموسوم ب"موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية" 12 وهو مخصص للأمثال الجزائرية العاصمية، وقد بلغ عدد الأمثال المجموعة فيه (3000) مثلا، ومصنف عز الدين جلاوي المعنون ب "الأمثال الشعبية الجزائرية بسطيف" 13 ويجمع حوالي (350) مثلا شعبيا لكنها غير مشروحة.

3. الصورة الذهنية الجمعية للمرأة:

1.3 الصورة النمطية السلبية للمرأة في الامثال الشعبية:

عملت الامثال الشعبية الجزائرية على رسم صورة نمطية سلبية للمرأة في ذهنية المجتمع، رغم أنها تعد الدعامة الثانية التي تقوم عليها حياة الأسرة ومنه المجتمع، فقد عوملت بكثير من الظلم والاضطهاد والتهميش. وبما أنها شخصية رئيسية وفريدة وضرورية في الواقع المعيش. فقد كان لها نفس الدور والقيمة في ميادين الأدب عامة والأدب الشعبي خاصة على عكس الآخر/الرجل الذي ارتبط وجوده دائما بالإيجابية والفاعلية. ولو قمنا باستنطاق الأمثال الشعبية في مختلف مناطق الجزائر لوجدنا أنها تعج بمختلف الصفات المرتبطة بالمرأة -طبعا - الصفات السلبية النمطية والتي ترافقها في كل مراحل حياتها عبر الزمن، من بداية الولادة إلى غاية الشيخوخة والعجز.

"كل هذه الصور كيانات مجازية ولكنها تؤطر حياتنا وسلوكنا في المجتمع، وعليه صورة المرأة هي النمط الذي تظهر به في الأمثال الشعبية بأدوارها المختلفة" 14 ضمن مجتمع يحمل مسبقا منظومة من القيم الثقافية العامة من الأعراف والمعتقدات.. والتي تمارس دورها

الشفاهي عبر الأقوال والأمثال الماثورة المتداولة من جيل إلى جيل. هذه الأخيرة تصنع صور نمطية للكثير من القضايا والأحداث والمواقف منها ما ينجّر عنه جعل المرأة تأخذ حيزا كبيرا من هذا التتميط السلبي. فالمرأة في الأمثال الشعبية لها صور عديدة ناتجة عن أطوار حياتها التي تعيشها ضمن واقع مجتمعه الذي تنتمي إليه، ويمكن صياغة ذلك وفق مجموعة من التيمات اللصيقة بها.

أ/- تيمة الجسد المقهور اجتماعيا:

1- الجسد الأنثوي ضمن مؤسسة الزواج:

تعد المرأة نصف البشرية، فهي التي تقوم بالإنجاب، ومنه الحفاظ على النوع البشري أي الاستمرارية. وبما أن المرأة هي نصف المجتمع وهي تتجلبب النصف الآخر فهي المجتمع ككل. لكن بالرغم من كل هذا الثقافة الشفوية الشعبية اختزلتها في تيمة الجسد وحددت مصيرها ومقامها منذ ولادتها حتى مماتها في هذا الجسد وما يحمله من صلاح أو طلاح، وغضت البصر والبصيرة عن كونها هذه الأنثى ذات وكيان له وجود وحضور مثل الآخر /الرجل تماما.

وبما أن جسد المرأة هويتها بالنسبة للآخر /الرجل أو المجتمع، فهذا الجسد يدجن منذ الولادة إلى غاية البلوغ ليكون ملك للرجل في ظل العادات والتقاليد ضمن مؤسسة الزواج، فالجسد الأنثوي يجب أن يكون له مالك أو حامي له سواء كان الزوج أو الأب أو الأخ. وعليه شجعت الأمثال الشعبية الجزائرية على الزواج المبكر للأنثى، وجعلها تحت الوصية الذكورية، كونها قاصر وضعيفة ولا تستطيع تدبر شؤون نفسها، فهي في نظر المجتمع ضعيفة ولا حول لها ولا قوة وتحتاج دائما للسند والقوة والحماية، وإلا تصبح في مهبط القيل والقال، ويخس وجودها في عين المجتمع.

من الأمثال الشعبية التي صاغت هذه صاغت هذه الصورة النمطية السلبية وشجعت على الزواج وجعلته قيّدًا في كيان المرأة لا مهرب منه نذكر:

"زوج حناش في الغار، ولا زوج بنات في دار"

هذا المثل يبين مدى خوف الأهل من البنت غير المتزوجة وبقاءها في بيت الأهل هو أخطر من سمّ الأفاعي (الحناش)، في أيّ وقت يمكن أن تنفث سمها وتجلب العار والفضيحة لأهلها. وكما هو معروف في العرف الجزائري الفتاة قنبلة موقوتة قابلة للانفجار في أيّ وقت لهذا وجب على الأهل التخلص منها بتزويجها في أسرع وقت وحتى قبل بلوغها.

"قالت الهامة: أنا خير من ثلاثة: اللي قال كلمة وما وفاها، واللي خرج قصعة وما ملاها، واللي كبرت بنتو وما عطاها"

تعد المرأة رمز للشرف والعفة والطهارة، ورمز للنجاسة والخطيئة والعار من جهة أخرى. من هذا المنظور يسعى الأهل لتزويج بناتهم في المجتمع الجزائري، انطلاقًا من هذا المفهوم السائد ولا يهم إذا كان الزوج صالحا وصاحب مسؤولية وسند لهذه الزوجة في ظل الحياة المشتركة. إنما المهم النتيجة -ستر المرأة- في كنف زوج وعائلة حتى وإن كان هذا الزواج غير سعيد وجالب للمرارة والخسران عليها.

"المرأ اللي ما شبعت امرار ما تبني دار"

المرأة لا بد أن تشرب كل أنواع المرارة والعلقم كي تتمكن في النهاية من بناء بيت وأسرّة "تجدها دعما لها وعونا في آخر حياتها، عندما تصبح عاجزة خائرة القوي"¹⁵ وهذا المثل يذكرنا بالمثل الليبي القائل "عفن الرجال ولا قعاد الهجالة"¹⁶. وهو لا يبتعد كثيرًا عن معنى الأمثال الجزائرية من حيث المعنى والدلالة. أما في حالة ما طلبت الفتاة للزواج فنجدتها

مجرد سلعة تباع وتشتري يتم المساومة عليها ويشترط فيها الجمال والكمال والنسب الطيب / وفي حالات كثيرة يفضلون صلة القرابة .

"لا يعجبك نوار الدفلة في الوديان داير الظلايل، ولا يعجبك زين الطفلة حتى تشوف
الفعايل"

هنا نجد المفارقة بين الأمثال الشعبية في ترتيب مكانة المرأة في المجتمعات العربية عامة والمجتمع الجزائري خاصة، فالمرأة يمكن لها أن تتزوج (عفن الرجالة)، ولا تكون مستورة إلا إذا سترها الرجل وإلا كانت مفضوحة وتتجرع مرارة العلقم كي تبني بيتا وتربي أبناء وتستقر دون متاعب .بينما الرجل هو صاحب الهيمنة والقوة والسلطة لهذا وجب حينما يتأهب للزواج أن تتحلى زوجته بالجمال والكمال لا بالنقص لقول المثل (حتى تشوف الفعايل) أي المرأة الصالحة الكاملة المسؤولة.

الزواج في نظر المجتمع الجزائري لا يستقر، إلا إذا كان من نسل طيب والفتاة مرآة أمها وعليه يجب أن تكون سيرة هذه الأم عطرة ،تتسم بالرصانة والطيبة والمنبت الحسن أي الأصل الطيب الكريم .فالأم حينما تتحلى بالخلق الكريم ستتقله لا محال إلى ابناؤها ومنه إلى بناتها خاصة .

"دير القدرة على فمها، البنت تشبه أمها"

وهذا المثل نجده يوافق أمثال العربية كثيرة متداولة في هذه المجتمعات نذكر منها:

"البنات على لمات، والخيل على الصفات"

وعليه الأمثال المأثورة تدعو للخلق الكريم والنسب الطيب وتفضله على المال والجمال .
فالأم هي مرتع تربية الأبناء وهي نصف المجتمع بأكمله لقول حافظ إبراهيم:
الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق
وهو ما يوافق المثل القائل:

"اللي يتزوجها على مالها يموت فقير، واللي يتزوجها على زينها يموت حقير، واللي يتزوجها على دينها يحبو ربي والنبي البشير".

وهو ما ورد في حديث رسول الله ﷺ حينما قال: "تنكح المرأة لأربع لمالها، ولجمالها ولحسبها، ولدينها، فظفر بذات الدين تلبت يداك"

كما يفضل في الزواج صفة القرابة أي صلة الدم، لأن الفتاة تكون معروفة وأهلها أيضا فهم من ذوي القربى. وهنا يمكنها أن تتزوج باسم العائلة والانتماء، وتكون سنداً لزوجها وتحمل كل أعباء أهل البيت (الشيخ، العجوز، الأسلاف...)، باعتبارها من أهل الدم، كما نجدها تقف إلى جانب زوجها في الصراء والضراء، وتكون له سنداً ومعول خير إذا كان عاطل عن العمل أو سكير أو غير صالح أو رزقه قليل ...

" بنت عمك ترفد همك "

"ملس من طينك، يسجالك"

وهذا المثل يذكرنا أيضا بالمثل القائل: "خذ طريق العافية ولو دايرة، وبنت العم ولو بايرة"

2- الجسد الأنثوي المستباح للطلاق والترمل:

ترفض المرأة المطلقة أو الأرملة في المجتمع الجزائري على حد سواء ، فتهمش ويتم نبذها ،كونها تعد عار على أهلها ،لأنها فضيحة وجب مراقبتها باعتبارها فاقدة لبكارتها ،وعليه هذه المرأة لا تخشى ذلك الحازر لأنها تخلصت منه ،ويمكنها ممارسة حريتها الجنسية دون عائق يمنعها .من هنا الأنساق الثقافية الجمعية بنت لها نظرة دونية ،فهي عنوان لجلب العار والفضيحة في أي لحظة ،كما أن المجتمع يصبح عينا رقيبة عليها في كل سكناتها وحركاتها ،ويفضل المجتمع المرأة العزباء أو البائرة كما هو معروف في المأثور الشعبي على المرأة المطلقة أو الأرملة لقول المثل:

" قعاد بيت بوها ولا زواج الفضايح "

" المرا تجيب العار لباب الدار "

"الهجالة من ربي والمطلقة من لفعايلها"

المرأة هنا تسجن في لقب مطلقة أو أرملة (هجاله)، وجسدها يصبح مستباحا يطمع فيه القاصي والداني. كما أن المرأة هنا في هذا المثل يفصل في أمرها النسق الثقافي الاجتماعي عندما يجعل الترميل قضاء وقدر ويجعل الطلاق فشل الزوجة في الحفاظ على زوجها وبيتها بسبب أفعالها، أو عدم صبرها. مما يجعلها محل لوم وعتاب دائم من قبل الأهل والمجتمع.

3- الجسد الأنثوي الميت /العقم وإنجاب البنات:

جسد المرأة هو طريقها للاستقرار الأسري ، وللحفاظ على مكانتها كزوجة وعضو فعال في الأسرة ،لكن هذا الجسد إذا ما فقد أهليته التي وجد لأجلها وهي الانجاب لتحقيق الاستمرارية ،يهتمش ويلغى تماما وجسد المرأة / الزوجة في هذه الحالة يدخل في نطاق الخروج عن الخدمة أي يصبح في مرحلة التقاعد الجبري لعدم الانجاب ، فهذا الجسد الأصم والعقيم الفاقد لوظيفته ، يفقد المرأة أنوثتها وجمالها ويخرجها من حيز الأنوثة ،ويدخلها حيز الازلال والتهميش .فالأعراف تعمل على تهميش العقيم "وتحرمها من المكاسب الاجتماعية والرمزية وتحكم عليها بالنقص والعجز "17، مما يدفعها إلى الصمت المميت.

إن تنشئة الأنثى تتجه منذ الطفولة المبكرة على تكريس ثقافة المرأة المتزوجة أفضل من العازبة، والمرأة الولود خير من العاقر (العقيم)، فهي تحضي بالحماية والاحترام أكثر، والمرأة التي تنجب ذكورا أفضل من المرأة التي تنجب إناثا فقط. فهذه الرؤية تجعل قيمة المرأة مرتبطة فقط بالزواج والأسرة، فهي تعيد في كل مرة "إنتاج السلطة الذكورية التي تعيق المرأة على اختيارات اجتماعية أخرى من شأنها أن تمنحها القدرة على تحكم أفضل في جسدها"18 وفي مصيرها ومكانتها.

"المرأة بلا أولاد كي الخيمة بلا أوتاد"

إن فشل المرأة في الانجاب يؤدي إلى الطلاق في أغلب الأحيان "فالأولاد هم أساس الخيمة - الأسرة- تقوية العلاقة القائمة عليها الأسرة بين الزوجين"19، فالنسيج الاجتماعي لا يقبل المرأة العاقر مهما بلغت من النجاح كونها خلقت للانجاب وتحقيق الاستمرارية وهو الأهم.

4- الجسد الأنثوي المستباح للعنف:

إن المجتمع الجزائري كان ذو صياغة ذكورية خالصة، مما جعل المرأة جزءا أو فئة من المتاع أو الهامش لا غير، وهذا ما ثبت الفكرة السائدة في ذهنية الرجل أن المرأة ماهي إلا كائن ناقص ليس له القدرة على الخلق أو الإبداع، ويتسم بالضعف والدونية والتراتبية. هذه الصورة المتردية المتداولة اجتماعيا أبخست حق المرأة في حياة كريمة، واستخفت بإنسانيتها وبحقها في حياة كريمة ،وفي تحقيق المساواة بينها وبين الرجل الذي زادت سلطته الذكورية على حساب السلطة الأنثوية ،مما جعله يهيمن على المرأة ويستبجح تعنيفها وإذلالها كنوع من التهذيب وتحقيق الاستقامة لهذا الضلع الأعوج. ومن الأمثلة الشعبية التي عملت على تبخيس المرأة وإذلالها أكثر وأباحث أيضا تعنيفها.

"اضرب امراتك ديما، إذا أنت ما تعرفش علاش، هي تعرف علاش"

مثل هذه الأمثال تسيء للمرأة إساءة بالغة، فالتهذيب لا يكون بالضرب وممارسة العنف حيث تضرب بلا سبب. لأن الهدف من هذا التعنيف هو تحقيق غاية إذلالها وكسرها من أجل أن يسيّد الرجل أكثر وتتوسع هيمنته. وبما أن المجتمع يعد ترسانة من العادات والتقاليد التي تعمل على تمييز بين الذكر والأنثى، فإن هذه الترسانة أيضا ترفض تحقيق الإنصاف والعدالة في المجتمع. بل وتتمادى إلى غاية حصرها في خانة القطيع الثاني، مما يجعلها تعاني معاناة مضاعفة، لأنها الأضعف في صياغة العلاقة الاجتماعية بينها وبين الرجل.

"فتصبح مجردة من مزايا كثيرة تستلج حريتها مقارنة بالرجل الذي تصبح هذه المزايا حقا شرعيا له بحكم الأعراف والتقاليد"²⁰

وعليه المرأة تتعرض للعنف إما الأسري في محيطها الداخلي، كما قد تتجاوز للمحيط الخارجي المتمثل في المجتمع وما يحمله من ممارسات ضدها كالإذلال والتحقير وتحجيم لدورها ...

"المرأة كالسجادة ما تنظف غير بالخبيط"

المثل هنا يضع المرأة ككائن حي له ذات ووجود بالسجادة التي لا يمكن إزالة الغبار والشوائب العالقة بها إلاّ باستخدام الضرب والقوة العضلية. فكذا المرأة لا يتم تقويم اعوجاجها إلاّ بالعنف لكي تخضع للأوامر دون إبداء رأيها أيّ تحقيق معادلة المرأة تساوي الصمت.

" ما تضرب المرا حتى تكتفها،

وما تتسوق حتى ادير السوق قدام دارك،

وما تأكل حتى تجوزها بالعسل".

فالعنف يزداد توغلاً في الجسد الأنثوي كلما ازداد تداوله أكثر في المأثور الشعبي، مما يزيد من إذلالها في مجتمع يقدر الذكورة ويهمش الأنوثة. ومنه "الظلم والحيف الذي مورس عليها -المرأة- يبقى ظلما قاسيا ولا يمكن نكرانه أو تجاهله"²¹، مما يولد مع الزمن مشاكل اجتماعية وإنسانية لا حصر لها.

2.3 تيمة الجسد المتمرد والتائر:

1. الجسد الأنثوي المستباح للذيلة:

الجسد الأنثوي يمثل أحد أهم المحاور التي دارت حولها الأمثال الشعبية الجزائرية، خاصة الجسد الأنثوي المستباح للذيلة والخروج عن الأعراف والتقاليد والدين. ومن بين هذه النصوص نذكر:

"خبارها عند الرعيان، وهي تتعجب"

هذا المثل يقال في المرأة الفاجرة التي تدعي الحياء والعفة، لكنها في حقيقة الأمر تمتهن الرذيلة.

"الحنة في ظفارها، والخطر جابت خبارها"

المثل هذا يحمل دلالة على شدة فجور المرأة ، فحتى الخطار وهم المارة والعاثرون يتكلمون عن فجورها ، وعليه العهر صفة لصيقة بالمرأة دون غيرها ، لأن الرجل له الحق في ممارسة هذا الفعل المرفوض أخلاقيا ، لكنه مقبول اجتماعيا ، حيث "يسمح له المجتمع بل ويطلب منه أن يكون فحلا وهو ما يؤدي به إلى نشاط جنسي كبير ، وإلى تعداد كبير لشريكاته الجنسيات "22. بينما المرأة يحرم عليها ذلك ويدخل في باب الخروج عن الشرف والعفة وجلب العار والفضيحة . غير أن سقوط المرأة واحترافها البغاء ما هو "إلا لغياب الدين والوعي بالذات والأخلاق"23.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة في حفريات الأمثال الشعبية الجزائرية ونظرتها السلبية للمرأة تبينا أن الأنساق الشعبية تحمل دلالات رمزية تعمل على ترسيخ دونية المرأة وتهميشها وتعنيفها ومراقبتها باستمرار باعتبارها فضلة وليس عمدة في المجتمع.

كما تتوغل هذه الأمثال بكل ما تحمله من سحر الكلمة وحكمة الفكرة لذهنية المتلقي ونفسيته فتحدث مفعولها ، حيث تقبع في أعماقه وتعمل على إدخال القيم والثقافة التي تتسجم مع أعرافه وعادات مجتمعه ، مما يجعلها مع الوقت نواة الفرد والمجتمع ، وبما أن الأمثال الشعبية تعد خطابات تساهم في بناء المعرفة الثقافية الشعبية لمجتمع ما ، وجب الوقوف

عندها والعمل على غريبتها و الغاء البعض منها كونها أصبحت لا تخدم تقدمنا واندماجنا في العولمة، و النظر إليها من باب مآثر شعبي متوارث.

5. قائمة المراجع:

1 محمد الصادق الرزقي، الامثال العامية التونسية وما جرى مجراها، نقلا عن أحمد الحمروني، من أمثال المدائن التونسية، الحياة الثقافية، تونس، ع261، ماي 2015م، ص 53.

2 محمد الصالح بن علي، رحلة المثل الشعبي من المورد إلى المضرب (المقدمة)، إصدار مديرية الثقافة لولاية الوادي، ط1، 2016م، ص3.

3 نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ، (دط)، (دس)، ص 139.

4 المرجع نفسه، ص 139.

5 أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر 2012م، ص69.

6 عبير العشري، المرأة في الامثال الشعبية، مجلة الأهرام ، ع 43451، 5 نوفمبر 2016م.

www.gata.ahram.org.eg/daily/new/192075/119/559556اليوم 2025/2/9

الساعة :14:49.

7مالك بن نبي ، شروط النهضة ، (مشكلات الحضارة)، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي

، إشراف ندوة ملك بن نبي ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سورية، 1986م، ص 80.

8 عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دراسة لأشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية، دار القصة للنشر، الجزائر، ص70

9 Proverbes arabes de l'Algérie et duMaghreb ;recueillis ;traduits et

commentés par Mohamad Ben cheneb

ص 70 .

10 عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، (المقدمة)، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007م، ص7.

- 11 فادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية،(المقدمة)، ترجمة عبد الرحمان الحاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1987م، ص 3
- 12 رابح خدوسي ، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية ، دار الحضارة ،(دط)، الجزائر، 1997م.
- 13 عز الدين جلاوي، الأمثال الشعبية الجزائرية بسطيف، الجزائر، منشورات، دار الثقافة، (دط)، 2007م.
- 14 صالح سويلم، صورة المرأة في الأمثال الشعبية الأردنية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع7، 2011م، جامعة آل البيت ، الأردن، ص36.
- 15 محمد الصالح بجاوي، الأدب الشعبي الجزائري، الأمثال والحكم، دار الجائزة، الجزائر، ط1، 2009، ص 72.
- 16 حسن أحمد السكيوي ، نور المعرفة في الأمثال الشعبية ، الهيئة العامة للثقافة ، ليبيا، ط1، 2018، ص 20.
- 17 أرزائي محمد، تمثيلات المجتمع لظاهرة عقم المرأة، الحكمة للدراسات الاجتماعية ، مجلة دولية محكمة، الجزائر، ع8، السداسي الثاني، 2016م، ص113.
- 18 المرجع نفسه، ص119.
- 19 بوحنيك نذير، دفون محمد، قراءة سوسيولوجية في حفريات العنف الرمزي اتجاه المرأة من خلال الأمثال الشعبية، مجلة دراسات وأبحاث، مج 16، ع 1، 2014م، ص 39.
- 20 حسن المناصرة، المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية الفلسطينية، نقلا عن الشريف حبيلة، الرواية والعنف، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد، عمان، الأردن، ط1، 2010م ، ص222.
- 21 محمد الصالح بجاوي، الأدب الشعبي الجزائري، الأمثال والحكم، ص 97.
- 22 سارة كارمونا بنيتو، البغاء في شوارع الدار البيضاء، ترجمة عبد الصمد الديالمي، المراجعة عزيز المستقيم، دار تويقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008م، ص17.
- 23 محمود سعيد، لغة الجسد في الأدب، يوسف إدريس نموذجا، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009م، ص 159.